

التعايش اليهودي-الاسلامي في مغرب  
القرن التاسع عشر

صفحات ناصعة من المشترك  
الانساني

شمال المغرب نموذجا

ARID

حفصة أعبود  
وليد موحن

# التعايش اليهودي-الاسلامي في مغرب القرن التاسع عشر

## صفحات ناصعة من المشترك الانساني

### شمال المغرب نموذجا

#### حفصة أعبود :

طالبة باحثة في سلك الماستر :جامعة عبد المالك السعدي

#### وليد موحن :

طالب باحث في سلك الدكتوراه :جامعة الحسن الثاني ،كلية الآداب والعلوم

#### الانسانية -المحمدية.



لا غرو أن المغرب ومنذ قديم العهود والازمان كان مصب تلاقح وتعايش بين كل الاطياف والجنسيات والديانات، نظرا لموضعه الجغرافي، ورحابة أناسه، وعبق أريج تاريخه الذي استمد تنوعه من المشترك الانساني الطافح في غياهبه ، والمتجذر في دروبه والمتنوع في أسه .

ولا مندوح أن العنصر اليهودي لعب دورا أساسيا في تاريخ المغرب، والدليل على ذلك بصماته القوية، وبقاياه المادية خاصة في "الملاح" الذي عد بحق احد مكونات التخطيط العمراني للمدينة المغربية خاصة منها الشمالية التي سوف نركز عليها -تطوان -طنجة -القصر الكبير .

وان كانت الكتابات الاستعمارية الكولونيالية قد رصدت صورة مشوهة وقيمة عن العنصر اليهودي ،وروجت اطروحة الصراع الذي كان قائما خلال الفترة، والذي اشتد أوره في القرن التاسع عشر ميلادي بزعمها ،فإننا سوف نستحضر في هذه الورقة البحثية لمحات من التعاضد والتسامح اليهودي الاسلامي على أرض المغرب في قرن عد بحق قرن المخاطر جمعا<sup>1</sup> ،عندما انفصمت عرى الدولة المغربية أمام الهجمات والضغوط الامبريالية الاوربية ،وسنرصد مظاهر الحضور اليهودي ومشاركته مع الثقافة المغربية المتعددة الراوفا عبر هذه المحطات الكبرى :

<sup>1</sup>في القرن 19م كان المغرب يواجه ضغوط استعمارية قوية ،على مجموعة من الجبهات الاقتصادية والدبلوماسية والسياسية للمزيد من التفاصيل انظر : المنوني، محمد .مظاهر يقظة المغرب، الدار البيضاء- شركة النشر والتوزيع-المدارس، وبيروت- دار الغرب الإسلامي، 1985 ،وايضا :الخديمي، علال.المغرب في مواجهة التحديات الخارجية 1851-1947 ،منشورات افريقيا الشرق ،2002 .

-ببليوغرافية الدراسات التي رصدت التواجد اليهودي في مغرب القرن التاسع عشر

-المشترك اليهودي الاسلامي في شمال المغرب في الجوانب الدينية والاقتصادية والعلمية

وذلك وفق ما تقتضيه المادة المصدرية ،وما باح به الوثائق المحلية والوطنية والاجنبية ،ووفق ما يساير الامانة العلمية .

ان تاريخ اليهود قد درس في شقه العام ولازال في حاجة ماسة الى البحث والتقصي خاصة في المدن التي كان لهم فيها باع طويل وقصب عظيم على غرار المدن الشمالية ،التي لازالت بعض المظاهر المادية والمصهرات العائلية قائمة لم يحياها الزمن ولا عوادي بني الانسان .

ومن الشأن اماطة اللثام عن التواجد اليهودي في شمال المغرب خلال هذه الفترة أن يفصح عن صفحات أصيلة من التعاقد اليهودي الاسلامي من خلال تبيان سماته ورصد خصائصه والتعريف ببقاياه المادية وغير المادية .

لقد كان اليهود حتى الامس القريب يشكلون عنصرا بارزا في التركيبة العرقية والاجتماعية لهذه القرى والمدن ،ومكونا اصيلا لمورثها الثقافي والروحي المتنوع ،ودعامة قوية لحياتها الاقتصادية ،وذلك بفضل ما اشتهر به اليهود المغاربة عامة من مهارة واتقان للحرف والصنائع ،والمام كبير بإدارة المشاريع التجارية ،وحنكة ودراية باستثمار المال وبصونه من الهدر والضياع .

وقد عاش أبناء هذه الطائفة مع جيرانهم من باقي الطوائف والعناصر المغربية الاخرى في تناغم وتأزر تامين ،وهذه مزية تعتبر في الغالب ،من فضائل الشعوب والبلدان التي قامت على أسس تعدد الاعراق والديانات ،كما هو الحال في المغرب الأقصى ،الذي ظلت الطائفة اليهودية تمثل فيه نسبة مهمة من السكان .<sup>2</sup>

لقد كان وظل المغرب على مر الزمان نموذجا في التعايش الاثني والتسامح الديني ،اختلف فيه رنين أجراس الكنائس بأصوات المؤذنين في المساجد وأصداح ونداءات اليهود بالبيعات ،وتجاورت فيه الديانات واختلفت الأجناس ،فاتخذوا من السماحة شعارا ،وحسن التجاور منارا ،والعمل المشترك في التنمية والتجارة قطارا .

ولا يختلف اثنان في كون اليهود من أقدم التركيبات الدينية التي عمرت الشمال الإفريقي عامة ،والمغرب الأقصى خاصة.<sup>3</sup>

<sup>2</sup>استينو، محمد .من مظاهر التعايش الديني في المغرب خلال أزمنة العصر الحديث :نماذج من كتاب "التواريخ" لأخبار من عائلة ابن دنان ،ضمن :التصوف والمجال والانسان :أعمال مهداة الى الاستاذ عبد اللطيف الشاذلي ،منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي ،2016 ،ص 134 .

عيدون، عبد الفتاح .اسهامات اليهود في تطوير وتجويد الفنون اليدوية المغربية ،ضمن مجلة الفنون :العدد 2 ،2019 ،ص 5

<sup>3</sup>

لم يحظ موضوع تاريخ الاقليات الدينية في المغرب بنفس حجم الاهتمام الذي حظيت به باقي المواضيع في الدراسات التاريخية المتعلقة بالمغرب، ويعود ذلك، عموماً، الى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، منها ما هو مرتبط بطبيعة البحث فيه وبالمادة المصدرية، ومنها ما هو لصيق بخصوصيات يهود المغرب وما هو متاح من دراسات ومناهج بحثية .

وذا كان لا بد من القول بأن الدراسات الاسطوغرافية المخصصة لتاريخ الاقلية الدينية اليهودية المغربية بالمغرب قد نالت الحظ الاوفر مقارنة مع باقي الاقليات الديانات كالمسيحية، فإن ذلك راجع دون أدنى شك إلى اهمية هذه الاقلية وديناميتها في تاريخ المغرب<sup>4</sup> . كما سوف نرى في الاشارات الببليوغرافية التي سوف نفردها للمنجز التاريخي حول الوجود اليهودي في شمال المغرب خلال فترتنا المدروسة القرن 19 م .

## 1-ببليوغرافية الوجود اليهودي في شمال المغرب خلال القرن التاسع عشر من الندرة إلى الوفرة :

من الناحية العلمية لا مشاحة للباحث وهو ينقب في وشائج البحث العلمي، الا أن يبرز أهم الدراسات العلمية التي ناولت موضوعه بحثاً، تنقيهاً، تعريفاً، لأن من أولى شروط الإبداع العلمي، معرفة السابق بتجميعه ونشره، "حفظاً للطاقت والأموال والأوقات"، وهذا ما يدخل في صميم العمل الببليوغرافي<sup>5</sup>.

وسنعمل في هذا الباب على التذكير بأهم الدراسات التي اقتحمت موضوع بحثتنا تعريفاً بها من أجل إنارة الموضوع منهجياً :

-الزاوي عبد الاله ،النخبة اليهودية المغربية في القرنين 18 و 19،ضمن : إشكالية النخب في تاريخ المغرب : ندوة شعبة التاريخ ؛ بتعاون مع مؤسسة كونراد أدناور ؛ تنسيق حسن أميلي. - المحمدية : كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2013.

-الكوهن أمين ،"تجار السلطان" : مسار اغتراب نخب يهودية في مغرب القرن 19 م،ضمن : نخب مغربية : المرجعيات، المسارات والأدوار : أعمال المنتدى المغربي الثاني. - الدار البيضاء : مدى، 2012.

-الكوهن امين ،يهود المغرب على أعتاب نهاية الرحلة، ضمن الثقافة والمجتمع : أعمال مهداة إلى الأستاذ محمد الفلاح العلوي،ضمن : جامعة الحسن الثاني - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك، 2019 .

<sup>4</sup> لمغبيشي عمر ،المنجز في تاريخ الاقلية الدينية اليهودية المغربية : حصيلة وتركيب ،ضمن :مجلة المناهل ،أبريل ،ماي ،يونيو 2020 عدد :اطلالة على حصيلة الدراسات التاريخية المغربية ،العدد 99 ،ص 165 .

موحن ،وليد . علم الببليوغرافيا وأهميته في حقل الدراسات التاريخية،مجلة ليكسوس التاريخية ،العدد 5 ،2016 م ،ص 236:<sup>5</sup>

-رشيد دوناس، صناعة النخب اليهودية بالمغرب ما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر، ضمن مجلة الربيع، العدد 2-3، 2015.

-شروتر، دانييل. يهودي السلطان المغرب وعالم اليهود السفرد. تعريب خالد بن الصغير. سلسلة نصوص وأعمال مترجمة رقم: 15. الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2011

-شهر عبد العزيز، يهود شمال المغرب على عهد مولاي عبد الرحمن، ضمن: السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام أعمال الدورة الخامسة [المنظمة] بالريصاني 1993. - الرباط: دار المناهل، 1996.

-عبد العزيز شهر، دراسات حول يهود تطاوين، منشورات جمعية تطوان أسمير، الطبعة الاولى، 2000.

-لمغبيشي عمر، المهمشون اليهود في المصادر العبرانية: نموذج يهود تطوان في القرنين 19 و20 الميلاديين من خلال سجلات الختان للربي التطواني "إسحاق السرفاتي"، ضمن: الأزمات والهشاشة بالمغرب: مقاربات متقاطعة: أعمال مهداة للأستاذ محمد استيتو تنسيق مصطفى نشاط، بغداد بوحسون، عبد الحميد الصنهاجي- الرباط: الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2019.

-لمغبيشي عمر، علاقات المسلمين باليهود في مغرب القرنين 18 و19: نموذج يهود تطوان، تدبير المغاربة للاختلاف: استلهام لأساليب التعايش وقبول الآخر: أعمال الأيام الوطنية الثالثة والعشرين تنسيق لطيفة الكندوز، الوافي نوحى؛ [تنظيم الجمعية المغربية للبحث التاريخي] الرباط: الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2018

-لمغبيشي عمر، يهود تطوان، 1492-1900: دراسة في التاريخ والتحويلات، منشورات بيت الحكمة، تطوان، 2019.

-محمد أخريف، محمد العربي العسري، يهود القصر الكبير: صفحات من تاريخ منسي: مقاربات متقاطعة، منشورات جمعية القصر الكبير للبحث التاريخي والاجتماعي، 2019.

-محمد حاتمي، التعليم اليهودي في مغرب النصف الاول من القرن العشرين: أدوار الرابطة اليهودية العالمية (الاليانس) والمدارس التلمودية الأمريكية، ضمن: أعمال ندوة تكريم الأستاذ إدريس العمراني الحنشي: قضايا في تاريخ المغرب الفكري والاجتماعي، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار البيضاء، 2010.

-Ana María López Alvarez, La Comunidad judía de Tetuán : 1881-1940 ; Madrid, 2003.

Jamaâ Baida ; Academic Research on Moroccan Judaism:-

Historiography, Sources and Archives ; Hespéris-Tamuda LI (2) (2016): 143-155.

- Mohammed Kenbib, "Recherches sur les Relations judéo-musulmanes au Maroc: Esquisse et bilan," in Recherches sur l'histoire du Maroc: Esquisse et bilan, eds. Mohammed El Mansour et al.,

35-50 (Rabat: Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, 1989).

- Simon Lévy, Essai d'histoire et de civilisation judéo-marocaines (Rabat: Éditions Centre Tarik Ibn Zyad, 2001

-Nahum Slouschz ; Étude sur l'histoire des Juifs et du judaïsme au Maroc ; E. Leroux, 1906

-Mohammed Kenbib ; Juifs et musulmans au Maroc, 1859-1948 ; Faculté des lettres et des sciences humaines-Rabat, 1994.

Cerfberr De Medelsheim, Les juifs: Leur Histoire, leur mœurs, Albert Frère - 1847éditeurs.

Jacobo Israel Garzón, Los judíos hispano-marroquíes (1492-1973), Hebraica - 2008Ediciones, Madrid.

Juan Bautista Vilar, Tetuán en el resurgimiento judío contemporáneo (1850-1870) - aproximación a la historia del Judaísmo Norteafricano, Biblioteca popular sefardí, volumen n°2, Ediciones de la asociación israelita de Venezuela y del centro de estudios sefardíes de Caracas,1985 .

هذا دون أن ننسى المصادر العبرانية التي تظل أساسية في فهم ميكانيزمات الموضوع ،وتقدم وجهة نظر يهودية عن اجواء التسامح الديني الذي كان سائدا في مغرب القرن 19 م ،وقد أشار الدكتور عبد العزيز شهبر<sup>6</sup> المختص في الدراسات العبرية لبعضها على الأقل في دراسة التواجد اليهودي في مدينة تطاوين ومنها:

---

<sup>6</sup>من صفوة الباحثين القلائل الذين اهتموا بتاريخ الاقليات الدينية اليهودية في المغرب ،من خلال اشتغاله على موضوع "الاسهامات اليهودية في الحياة العامة المغربية خاصة في مدينة تطوان الموريسكية ،له دراسات كثيرة في الصدد ومنها في التراث اليهودي الاندلسي المغربي.مكتبة دار الامان ،الرباط ،2007. وايضا :التراث السيفردي بالمغرب. ضمن كتاب جماعي :كتابات شرقية في الاخلاق والتصوف والاديان ،تنسيق أحمد شحلان ،2007 ،ص 75-82 .

-وثائق الجامعة العبرية في القدس ،وهي عبارة عن مجموعة من عقود النكاح تمتد ل 142 سنة من سنة 1815 الى 1957 .

-وثائق الاتحاد الاسرائيلي العالمي بباريس

-شواهد مقبرة قشتالة -المقبرة اليهودية -تطوان .

-وثائق آل الرزيني باعتبارها اكبر رصيد وثيقي خاص <sup>7</sup>

لقد أرخ يهود المغرب للمغرب بحرية تامة .و حين الوقوف على المعطيات التي تقدمها تلك المكتوبات التاريخية العبرانية المغربية ،يلاحظ انها تتكامل في كثير من الاحيان مع ما جاء في كتب التاريخ العربية المغربية ،أو تغطي مساحات ظل يكتنفها الظل في كتابات المؤرخين المغاربة المسلمين <sup>8</sup>

ان هذه الدراسات الثرة والغنية هي غيض من فيض من الابحاث التي قاربت من بعيد أو قريب موضوع الوجود اليهودي في شمال المغرب خلال القرن 19 ،من خلال الوقوف على تجلياته ،ورصد أهم تراثه ،ومكيانيزمات التعاون اليهودي الاسلامي في هذا الحيز الجغرافي ،وتجدر الاشارة الى أن هذه الدراسات تتمتع بغزارة استثنائية منقطعة النظير في توظيف الوثائق والارشيفات . وترصد صفحات يانعة من التعاون والتأزر الاسلامي اليهودي ان الدراسات التي تناولت الحضور اليهودي في شمال المغرب كانت الى وقت قريب في حكم الندرة ،ولم يسلط عليها الا النزر اليسير .

ومن أجل مقاربة الموضوع بعمق ودراية لا مناص من الدراسات الكولونيالية التي تناولت جوانب مهمة من حياة اليهود، وفي مقدمة هذه الاعمال سلسلة المصادر الغميسة لتاريخ المغرب التي أشرف عليها هنري دوكاستري .ولا يعدم طالب الكتابات الاسبانية، في المقابل ،أن يحصل على مبتغاه ،بخصوص مواضيع مهمة جدا ،فالذي لا يجب أن ننسأه أن وجود الاسبان بسببة ومليية واحتلالهم مدينة تطوان عام 1860 م ،وغير ذلك من العوامل الاخرى قد اسهمت بشكل مباشر في اهتمام الاسبان المبكر بيهود المغرب خاصة يهود مدن الشمال <sup>9</sup>

وينبغي التعاطي مع هذه الدراسات الاستعمارية بروية وروح نقدية ،وذلك بسبب تحكم الايديولوجيا الاستعمارية في مناهجها ونتائج دراستها ،وابتعاها عن تقديم قراءات علمية أكاديمية لهذا التاريخ ،وهذا ما جعلها ذاكرة استعمارية أكثر منها تاريخيا علميا .ومن أكثر المواضيع التي اهتمت بها هذه الذاكرة المكونات الدينية والاجتماعية والسياسية والعرفية للمغرب عبر التاريخ .وقد أولت عناية كبيرة لإبراز نوعية الاختلافات وطبيعة

<sup>7</sup> شهبر ،عبد العزيز.المصادر العبرانية لتاريخ تطواين ،ضمن :أعمال ندوة تطوان والتوثيق من القرن 16 الى منتصف القرن 20 ،كلية الآداب والعلوم الانسانية ،تطوان -مرتيل ،2004 ،ص 129 .

شهبر ،عبد العزيز.دراسات حول يهود تطواين ،منشورات جمعية تطوان أسمير ،2000 ،ص 10 .<sup>8</sup>

<sup>9</sup> لمغبيشي، عمر .المنجز في تاريخ الاقلية الدينية اليهودية المغربية :حصيلة وتركيب ،مرجع سابق ،ص :167

العلاقات التي نسجت بين هذه المكونات، وللطريقة التي كان بها تدبير هذه العلاقات والاختلافات، وقد خلصت الى حالة التعدد السياسي والديني والعرقي والمجالي التي ميزت المغرب، واعتبرت أن التفتت والتنافر والصراع والتشظي هي السمة الاساسية التي ميزت الهوية المغربية، وغياب أي اطار وحدوي مشترك وجامع لتدبير العلاقة بين مكوناتها.<sup>10</sup>

وفي بلادنا، وبالنسبة للأبحاث والدراسات المقدمة حول يهود المغرب، فإنه، بعد استقلال بلادنا سنة 1956 م، ركزت الاستواغرافيا المحلية أساسا على موضوعات وطنية، وهو مجال استأثرت فيه الذاكرة بالاهتمام أكثر من التاريخ. ولذلك كادت الموضوعات الدراسية حول اليهودية المغربية أن تكون مهملة على وجه التقريب من قبل الباحثين. واستمر هذا الوضع حتى منتصف السبعينات القرن الماضي حيث أصبح العنصر اليهودي ينظر اليه كجزء من الدراسات ذات الأهمية البالغة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي. ومنذ ذلك الحين تم احراز تقدم كبير في تأسيس اليهودية المغربية كمكون من تاريخ البلاد<sup>11</sup>، وأنجزت دراسات ثرية وغنية في هذا الباب والمضمار.

وتجدر الإشارة الى ان الموضوع لا زال في حاجة ماسة الى البحث والتقيب، وايضا الى البحث البيليوغرافي من خلال جمع شتات نصوصه، والتعريف بأهم اصداراته، لكي تكون معيننا لانجاز دراسات في هذا الشأن من طرف جمهرة الطلبة والاكاديميين سواء منهم المغاربة أو اليهود .

## 2- التعايش اليهودي –المغربي في شمال المغرب خلال القرن 19 م: من الحضور التاريخي الوازن الى الاضمحلال الانني الراهن .

قبل الدخول الى روح الموضوع وجب علينا تحديد ديموغرافية اليهود<sup>12</sup> في النسيج السكاني لأهل شمال المغرب، ونعتمد في حقيقة الامر أرقام ذات بال في هذا الصدد، وقد وردت بطرق غير مضبوطة، وبصيغة تضخيمية، وإذا رجعنا الى تقرير ورد سنة 1880 نجد هذه المعطيات الرقمية، التي نعتبرها أقرب الى الصواب مما ورد عند الرحالة شارل دوفوكو<sup>13</sup>، والمستكشف اوغست موليراس<sup>14</sup>، بكونهما رحالة كانت لهم أهداف وغايات

<sup>10</sup> الطاهري، عبد العزيز. جوانب من التعدد المغربي وتدبيره من خلال الذاكرة، ضمن: أعمال: تدبير المغاربة للاختلاف: استلهام لأساليب التعايش وقبول الآخر، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 2016، ص 190 .

<sup>11</sup> محمد، أخريف، محمد العربي العسري. يهود القصر الكبير صفحات من تاريخ منسي: مقاربات متقاطعة، منشورات جمعية القصر الكبير للبحث التاريخي والاجتماعي، 2019، ص 21 .

<sup>12</sup> من اجل مقارنة جذور التواجد اليهودي في المغرب ينظر: حايم، الزعفراني. يهود الاندلس والمغرب، ترجمة: أحمد شحلان، الدار البيضاء، 2000

<sup>13</sup> FOUCAULD ; Charles de. Reconnaissance au Maroc (1883-1884)

Le Maroc inconnu : étude géographique et sociologique. Exploration du Rif (Maroc<sup>14</sup>

:septentrional)





عليهم ولا غيرهم على احد منهملا في أنفسهم ولا في أموالهم، وأن لا يستعملوا أهل الحرف منهم الا عن طيب أنفسهم، وعلى شرط توفيتهم بما يستحقونه على عملهم لأن الظلم ظلمات يوم القيامة، ونحن لا نوافق عليه لا في حقهم ولا في حق غيرهم، ولا نرضاه لأن الناس كلهم عندنا على الحق سواء، ومن ظلم احد منهم او تعدى عليه فانا نعاقبه بحول الله، وهذا الامر الذي قررناه وأوضحناه وبيناه كان مقررا ومعروفا ومحسوسا لكن زدنا هذه المسطور تقريراً وتأكيذاً ووعيدا في حق من يريد ظلمهم، وتشديداً ليزيد اليهود امنا الى امنهم، ومن يريد التعدي عليهم خوف الى خوفهم، صدر به امرنا المعترز بالله في السادس والعشرين من شعبان المبارك عام ثمانين ومائتين ألف<sup>17</sup>.

يتضح من خلال الظهير أن السلطات المخزنية كانت حريصة على ضمان امن واستقرار اليهود في سائر الايالة الشريفة، وذلك واضح من هذا المسطور والوثيقة التي أكدت على امنهم وسلامتهم، وضرورة تجنب معادتهم.

لا مرء ان المغرب، كان منبعا أساسيا للتسامح الديني، والدليل على ذلك عيش اليهود والمسلمين وكل الاطياف داخل بوتقة واحدة، قوامها التسامح، وزادها التعاون، وأسه التآزر بغض النظر عن تنوع الطقوس والديانات، وهذا ما كان شاهداً عليه شمال المغرب خلال القرن 19 م، والذي عرف تواجد جالية يهودية معتبرة خلال هذه الفترة، وسنعمل ضمن هذا الباب على تلامس هذه الاجواء المفعمة بالتسامح والتعاون بين الملتين بعيدا عن أنماط العنف والتسلط والقمع التي وسمتها الاستواغرافيات الاجنبية.

عاش اليهود والمسلمون بالمغرب جنبا الى جنب، خلافا لأطروحة الانعزال التام والانكماش على النفس التي روجت لها العديد من الكتابات خاصة منها الاستعمارية. ومن أهم مظاهر هذا التعايش السلمي والتسامح توزيع اليهود للفطير على المسلمين في عيد الفطر اليهودي، وتقاسم "الرقاقة" وتهنئة المسلمين لليهود في عيد "الميمونة"، وزيارة الاولياء وتقديسهم كزيارة ضريح "اسحاق بن الوليد" من طرف مسلمين مدينة تطوان، والعمل بالوقف على المنقطعين، والصدقة يوم الخميس على غرار صدقة يوم الجمعة عند المسلمين، والاحتفال بالانتصارات التي يحققها المسلمون كعيد "يوريم المسيحيين" الذي احتفل به اليهود منذ عام 1578 م، وقيام اليهود بالنزهة على غرار المسلمين التي تسمى بالعبرية "مشتة"<sup>18</sup>.

يتضح من خلال هذه الانشطة والدينامية التي تمتع بها اليهود خلال القرن 19 م، ان مدينة تطوان خلال هذه الفترة كانت تتعم بهدوء وطمأنينة تمكن كل الاطياف من القيام باحتفالاتها بكل حرية وفي اطار احترام كل الخصوصيات والتجليات الموازية.

<sup>17</sup>أخريف محمد، محمد العربي العسري. يهود القصر الكبير: صفحات من تاريخ منسي مقاربات متقاطعة، منشورات جمعية البحث التاريخ والاجتماعي القصر الكبير، 2018، ص: 411.

<sup>18</sup>المغبيشي، عمر. علاقات المسلمين باليهود في مغرب القرنين 18 و19: نموذج يهود تطوان، ضمن: تدبير المغاربة للاختلاف: استلهام لأساليب التعايش وقبول الاخرين الاخر، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 2016، ص: 220.

وينبغي في إطار التلاحم الديني أن نستجلي دور المرأة اليهودية ووضعيتها ابان الفترة المدروسة، وتجدد الاشارة الى ان التاريخ المغربي لا زال بعيد المنال عن وضع صورة يانعة تؤرخ للمرأة المغربية عامة، ذلك أن المصنفات السلطانية، والمصادر الرئيسية أغفلت الحديث عن هذا المضمار، مع الاشارة الى ان تاريخ النساء يمثل اليوم مجالاً حيويًا داخل الاسطوآغرافيا الغربية.<sup>19</sup>

عاشت الجماعة اليهودية بالمغرب، ومنذ القديم، محتفظة بديانتها وتقاليدها وأعرافها. ولم تكن المرأة، ضمن هذه الطائفة، تنعم بحقوقها، حيث عانت من الدونية والتهميش، الشيء الذي لم يسئل مداد الكتابة اليهودية حول وضعها، إلا بعد الاحتكاك المباشر الذي طرأ بين اليهود المغاربة الاصليين والقادمين من الاندلس، اثر طرد هذه الفئة الاخيرة من هناك سنة 1492 م بموجب قرار ملوك الكاثوليك.<sup>20</sup>

وعلى سبيل المثال، فقد كانت المرأة اليهودية في مدن الشمال وبالرباط وسلا وفاس، حيث تسكن أغلب العائلات اليهودية "السفردية"، تلبس أفخر الثياب، خاصة اللباس اليهودي الأوروبي، حيث استطاعت النساء هناك من المحافظة، بشكل كبير، على الخصوصيات الإسبانية، مع وجود بعض التأثيرات العربية المحلية والأمازيغية، وحتى العثماني وقد أشار "بوسطو" إلى أن يهود مدينة تطوان كانوا يرتدون الزي "الموريسكي" وهو ما كان يقربهم أكثر من "الموريسكيين" الغرناطيين، ويسهل اندماجهم وتعایشهم مع الذين أعادوا بناء تطوان. ومما يدعم ذلك، ما لحظه "خوان خورخي" أثناء وجوده بالمدينة عام 1767م من مميزات الطائفة في زيها مقارنة مع باقي يهود المغرب كما ترك لنا الرسامون، والكتاب الأوروبيون، والمصورون الذين زاروا المغرب العديد من الكتابات والصور حول لباس يهودها، خاصة اللبسة المميزة للمرأة اليهودية "القشتالية" المعرفة بالكسوة الكبيرة.<sup>21</sup>

ولا زال هذا الموضوع في حاجة ماسة الى البحث والتنقيب، نظير الادوار الاساسية الكبرى التي لعبتها المرأة بصفة عامة في مغرب القرن 19م مع قرينها الرجل في بصم أنماط الحياة العامة، وفي الاستماتة للدفاع عن حوزة وحياض الوطن.

وقد بلغ اليهود مراقي علمية رفيعة، وكانوا عمدة في العلوم، نتيجة اندماجهم في مؤسساتهم العلمية التي انتجوها، وقد مكنت الظروف الملائمة في المناطق الشمالية، والاستفادة من الدعم الاسباني والفرنسي لهذه المدارس التي انتشرت على نطاق واسع في المغرب قاطبة وفي شمال المغرب على وجه التخصيص.

وفي سنة 1860م أقدمت مجموعة من المثقفين اليهود على تأسيس جمعية الرابطة الاسرائلية العالمية "الاليانس" بهدف تمكين أطفال اليهود عبر العالم من تعليم عصري يمكنهم من اكتساب القيم ووسائل النجاح التي تمكنهم

حبيدة، محمد. البحث في تاريخ النساء تجربة الغرب نموذجاً: مجلة امل التاريخية، العدد 13-14، 1998، ص 124<sup>19</sup>  
<sup>20</sup>باكوري، محمد. لمحة تاريخية عن وضعية المرأة اليهودية المغربية من خلال التشريع الديني والديني، مجلة امل التاريخية، العدد 39-40، 2012، ص 108.

<sup>21</sup> لمغبيشي، عمر. الاوضاع الاجتماعية للمرأة اليهودية المغربية الى غاية نهاية القرن 19 م، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي، العدد 2، ديسمبر، 2017، ص 22

من ارتفاع اجتماعيا داخل مجتمعاتهم واحتلال مواقع محترمة بها. وقد خضعت الجمعية الجديدة منذ تأسيسها يهود المناطق المطلة على حوض البحر الابيض المتوسط وبلاد فارس وتركيا وجزء من البلقان، بالقسط الاكبر من خدماتها التعليمية والتربوية والانسانية. ويتميز هذا المجال، فضلا عن انتمائه لأرض الاسلام، بكون يهوده عانوا من دون شك من مضاعفات التقلبات السياسية وأفات الجهل والامية -شأنهم شأن الاغلبية الساحقة من المسلمين- الا انهم في الغالب عاشوا في ظروف أقل سوءا مقارنة بظروف عيش بني ملتهم في بلدان مسيحية مثل روسيا وبولونيا ومجموع دول اوروبا الشرقية.<sup>22</sup>

ثم فتح اول مدرسة في 28 ديسمبر 1862 م بتطوان ووضعها تحت حماية فرنسا وبريطانيا ثم توالى عمليات اقامة المدارس في العديد من المدن المغربية، وذلك بالتعاون مع الجمعية الانجليزية اليهودية، وهكذا بعد سنتين من انشاء مدرسة تطوان، أنشأت الرابطة سنة 1864 م مدرسة طنجة، وبالعرانش سنة 1874 وبالقصر الكبير سنة 1879 م.<sup>23</sup>

ولعل كل الدراسات والابحاث التي خصت اليهود، نصت بالواضح على الدور الريادي لهم في مضامير التجارة، نتيجة حنكتهم في المضمار، والثقة التي كانوا يتوسمون بها خاصة من السلاطين المغاربة خلال القرن 19 م، وهذا يدل على جو التسامح الذي كان سائدا، ونستحضر نماذج في هذا الصدد:

اعتمد السلطان المولى عبد الرحمان على هؤلاء التجار في تنشيط التجارة الخارجية مع الأقطار الأوروبية ولا سيما مع البلاد الواطنة، ووضع رهن اشارتهم الاموال اللازمة لتحقيق هذه الارادة السلطانية، ويتأكد ذلك من رسالته إلى القائد محمد أميمون المؤرخة في 22 صفر سنة 1239 هـ -1823 م، والتي يعلمه فيها بإنعامه على التاجر الذمي مير بن مقنين بوسق الثيران من ميناء طنجة وتطوان الى بلاد الفلامنك، مع تخفيضات مغرية في الرسوم الجمركية قائلا له "فاعلم اننا أنعمنا على خديمتنا التاجر مير بن مقنين بوسق الثيران من مراسينا السعيدتين طنجة وتطوان عمرهما الله، وقصرنا وسق الثيران في المرستين المذكورتين عليه، وأن لا يسقه بهما احد غيره ما عدا الثلاثة والثمانين رأسا التي يسق النجلير عن كل شهر من طنجة ومثلها من تطوان...".<sup>24</sup>

ولقد أدى التجار اليهود أدوار طلائعية إنفردوا بها دون غيرهم في ربط التجارة المغربية بنظيرتها الهولندية، سواء خلال القرن التاسع عشر أو خلال القرون الذي سبقته، كما لم يكونوا وسطاء في التجارة الخارجية بين

<sup>22</sup> حاتمي، محمد. التعليم اليهودي في مغرب النصف من القرن العشرين: أدوار الرابطة اليهودية العالمية الايانس، والمدارس التلمودية الاميركية، ضمن أعمال ندوة تكريم الاستاذ ادريس العمراني الخنشي /قضايا في تاريخ المغرب الفكري والاجتماعي، منشورات جامعة الحسن الثاني، والجمعية المغربية للبحث التاريخي، الدر البيضاء، 2010، ص 241 .  
<sup>23</sup> محمد أخريف، محمد العربي العسري . يهود القصر الكبير صفحات من تاريخ منسي : مقاربات متقاطعة، مرجع سابق ص: 173 .

<sup>24</sup> العمراني، عبد الغني. وساطة اليهود في التجارة بين المغرب وهولندا خلال القرن التاسع عشر: من خلال وثائق الأرشيف الوطني في لاهاي، مجلة أسطور التاريخية، العدد 12، يوليو 2020، ص: 204

الدولتين فحسب، إنما توسطوا بين الجانبين في مجالات اقتصادية أخرى، مثل كراء العقارات والاراضي الفلاحية

لقد حظي اليهود خلال القرن التاسع عشر بمختلف ضروب الرعاية والاهتمام من السلاطين المغاربة، ومن الهولنديين على السواء؛ إذ تمتعوا بثتى أصناف الامتيازات، وخصوصاً التجارية والعقارية منها. وقد أهلهم لذلك درايتهم العميقة بأمر الحساب وإمامهم الكبير باللغات الحية، ما دفع السلاطين إلى انتقائهم دون غيرهم ليكونوا لهم وسطاء تجاريين بينهم وبين التجار الأوروبيين والهولنديين بوجه خاص<sup>25</sup> كما لعبوا أدوار طلائعية في الرواج الاقتصادي في كل المناطق الشمالية لا سيما في مدينة العرائش؛ حسب أحد التقارير الاسبانية<sup>26</sup>

لقد كان اليهود يحتلون مرتبة عليا، في التجارة، وذلك نتيجة جو التسامح الذي كان شائعا في الاقطار المغربية، من خلال النماذج التجارية الحية التي قدمها في هذا الصدد والمكمن التجاري والاقتصادي الذي ينم بحق على الدور الريادي والرئيسي الذي قام به المكون اليهودي مستفيدا من جو التسامح الديني والتلاقح الثقافي في مغرب القرن 19 م .

وإن كانت فترة القرن 19 م عرفت حضورا يهوديا لافتا، وتقديرا رفيعا لهم سواء من الجهات المخزنية، أو من طرف الساكنة المحلية، فإن نجمهم قد خفت خلال القرن العشرين، وعهد الحماية نتيجة هجرتهم أولا إلى امريكا الجنوبية، وترتبط الاسباب الحقيقية لهجرة اليهود المغاربة بالظروف الصعبة التي أصبحت تعيشها هذه الطائفة بالمغرب قبيل اقامة الحماية، كما تجدر الإشارة الى ان أغلب هؤلاء المهاجرين ينحدرون من مدن تطوان وطنجة والعرائش بمعنى ان اللغة الاسبانية سهلت عليهم هذه الهجرة<sup>27</sup>، كما هاجروا ثانيا زمن الحماية بعد تأسيس دولة اسرائيل، ولم تظل سوى شواهدهم شاهدة على عقب تاريخهم، ومكمن تسامحهم، وانتشار أماكن عبادتهم .

عشية نكبة فلسطين عام 1948 كان تعداد اليهود المغاربة قد قارب 300 الف نسمة، الا ان تواجدهم انخفض داخل المغرب تحديدا بعد انشاء اسرائيل على أرض فلسطين التي سيهاجر إليها قرابة 80 في المئة، وسيتناقص تدريجيا الى 200 الف عام 1955 في ذروة الهجرة الى اسرائيل، وسيصل سنة 1975 الى 20 الف نسمة، ثم يضحى 8000 عام 1993، وهو الآن لا يتجاوز في بعض التقديرات العشرة آلاف وقد يصل في أعلى التقديرات الى سبعين الف، على أي من الاحوال، يظل واقعا أن الالاف من اليهود المغاربة الذين هاجروا من المغرب لم يقطعوا صلتهم به، ويزرون المغرب بانتظام بدافع الانتماء والبحث عن الجذور والهوية العاطفية. ويرى سيرج بيير ديغو رئيس مجلس الطوائف اليهودية بالمغرب، والسفير المغربي المتجول، والوزير المغربي السابق أن

نفسه: ص 195<sup>25</sup>

<sup>26</sup> **Estudio General del Bajalato de Larache** Don Tedodoro de Cuevas Boletin de la Real Sociedad Geografica deMadrid ;1884 P 333

<sup>27</sup> بوزوينة، سمير. معلومات حول هجرة اليهود المغاربة الى أمريكا الاسبانية والبرازيل، مجلة أمل التاريخية، العدد 38

2012، ص 171،

اليهود المغاربة منخرطون في النسيج المؤسسي لبلدهم حيث الجميع سواسية أمام القانون، وأن الوجود اليهود في المغرب هو رمز حقيقي وواقعي للتعايش الممكن والمثمر بين المسلمين واليهود، وذلك ما يديم بالفعل روح المصلحة الحقيقية بين ورثة ابراهيم<sup>28</sup>

ومن اجل إحياء الحضور اليهودي في المغرب قرر الملك محمد السادس مؤخرا انتخابات أعضاء لجان مجالس الطوائف اليهودية، بعد توقف دام 50 سنة، إذ جرت هذه الانتخابات آخر مرة سنة 1969، كما تم انشاء متحف للثقافة اليهودية -المغربية في مدينتي فاس والصويرة .

## على سبيل الختام :

ان المغرب وعلى مر تاريخه الخصيب،وماضيه العريق،وتراثه التليد،كان مصب تلاقح عظيم بين كل المكونات ومختلف الديانات،ومنبع الاخاء والتسامح على كل المسارات سواء في المعاملات العامة أو من خلال

<sup>28</sup> الحسن،فاطمة.يهود المغرب واسرائيل،مجلة البحثية للعلوم الانسانية والاجتماعية،مؤسسة خالد الحسن،العدد 3،2015،ص 59 .

الوثائق السلطانية من القرن التاسع عشر الى وقتنا الحالي من خلال التنقيص على المكون اليهودي في ديباجة الدستور المغربي باعتباره أحد روافد الهوية الوطنية.

وان الصفحات التي رصدناها ، والوثائق التي عالجناها ، والمقتطفات التي أوردناها ،تتم بشكل عميق على التسامح الديني الذي كان رائجاً من خلال الانموذج الذي كان في صلب حديثنا ، وهو منطقة شمال المغرب خلال القرن 19 م ، والتي تميزت بحضور يهودي غائر في كل الدواليب سواء منها العلمية أو الفكرية أو التجارية أو الاقتصادية ،في جو يتسم بالتسامح الديني ،والاختلاف في اطار المسموح والمحمود في احترام تام يمتاز بمنهاج الحوار والتسامح بين الاديان .

لا غرو ان الهجرة اليهودية التي بدأت مع القرن العشرين انعكست بشكل جلي على المجتمع المغربي ،الذي افتقد للعنصر اليهودي وديناميته ،والعيش بجانبه واحترام طقوسه .

لقد دأبت الكتابات الكولونيالية على ابراز اطروحة التضاد والصراع بين العنصر اليهودي والمسلم المغربي ،لكن الاستعانة بالكتابات العبرية والمغربية ،والوثائق السلطانية ،والربائد الارشيفية ،تبين افتراء هذه المصادر الاوربية ،التي وبرغم من ذلك تظل أساسية لصياغة تاريخ المغرب مكتمل الوضوح والبيان والشفافية والموضوعية العلمية .

ان التسامح وحوار الاديان والتعايش بين المعتقدات ليس حديث الشأن والتأسيس ،بل إن في التاريخ خير توضيح وبرهان ،وهنا تأتي اهمية التاريخ في التأكيد على أواصر الحوار ،وضرورة الاتكاء عليه من أجل حاضر يتسم بالحوار ،ومستقبلاً يؤمن بالتكامل والتعاقد بين كل الديانات والمعتقدات من أجل مجابهة توجهات وحمى التطرف ومسارات الارهاب التي تهدم كل حوار بناء قائم بين الحضارات والديانات والاثنيات .

## لائحة الببليوغرافيا

### الكتب :

- حايم، الزعفراني .يهود الاندلس والمغرب ،ترجمة :أحمد شحلان ،الدار البيضاء ،2000
- شهبر ،عبد العزيز.دراسات حول يهود تطاوين ،منشورات جمعية تطوان أسمير ،2000
- محمد أخريف ، محمد العربي العسري.يهود القصر الكبير صفحات من تاريخ منسي : مقاربات متقاطعة، منشورات جمعية القصر الكبير للبحث التاريخي والاجتماعي ،2019



- استيتو، محمد. من مظاهر التعايش الديني في المغرب خلال أزمت العصر الحديث: نماذج من كتاب "التواريخ  
"لآخبار من عائلة ابن دنان، ضمن: التصوف والمجال والانسان: أعمال مهداة الى الاستاذ عبد اللطيف الشاذلي  
، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي ، 2016.

- الحسن، فاطمة. يهود المغرب واسرائيل ،مجلة البحثية للعلوم الانسانية والاجتماعية ،مؤسسة خالد الحسن  
،العدد 3 ،2015.

- الطاهري ،عبد العزيز. جوانب من التعدد المغربي وتديبره من خلال الذاكرة ،ضمن: أعمال: تدبير المغاربة  
للاختلاف: استلهام لأساليب التعايش وقبول الاخر ،منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي ،الرباط  
،2016.

- العمراني ،عبد الغني.وساطة اليهود في التجارة بين المغرب وهولندا خلال القرن التاسع عشر: من خلال  
وثائق الأرشيف الوطني في لاهاي،مجلة أسطور التاريخية ،العدد 12 ،يوليوز ،2020.

- باكوري، محمد.لمحة تاريخية عن وضعية المرأة اليهودية المغربية من خلال التشريع الديني والدينيوي  
،مجلة أمل التاريخية ،العدد 39-40 ،2012.

- بوزويطة ،سمير.معلومات حول هجرة اليهود المغاربة الى أمريكا الاسبانية والبرازيل ،مجلة أمل التاريخية  
،العدد 38 ،2012.

- حاتمي ،محمد.التعليم اليهودي في مغرب النصف من القرن العشرين :أدوار الرابطة اليهودية العالمية  
الاليانس ،والمدارس التلمودية الاميركية ،ضمن أعمال ندوة تكريم الاستاذ ادريس العمراني الخنشي /قضايا  
في تاريخ المغرب الفكري والاجتماعي ،منشورات جامعة الحسن الثاني ،والجمعية المغربية للبحث التاريخي  
،الدر البيضاء ،2010.

- حبيدة ،محمد.البحث في تاريخ النساء تجربة الغرب نموذجاً :مجلة امل التاريخية ،العدد 13-14 ،1998.

- شهير، عبد العزيز.المصادر العبرانية لتاريخ تطاوين ،ضمن: أعمال ندوة تطوان والتوثيق من القرن 16 الى  
منتصف القرن 20 ،كلية الآداب والعلوم الانسانية ،تطوان -مرتيل ،2004.

- عيدون ،عبد الفتاح .اسهامات اليهود في تطوير وتجويد الفنون اليدوية المغربية ،ضمن مجلة الفنون :العدد  
2 ،2019 .

- لمغبيشي،عمر. علاقات المسلمين باليهود في مغرب القرنين 18 و19: نموذج يهود تطوان،ضمن : تدبير  
المغاربة للاختلاف :استلهام لأساليب التعايش وقبول الاخرين الاخر ،منشورات الجمعية المغربية للبحث  
التاريخي ،الرباط ،2016.



- لمغبيشي ،عمر.الاضاع الاجتماعية للمرأة اليهودية المغربية الى غاية نهاية القرن 19 م ،مجلة العلوم الاجتماعية ،المركز الديمقراطي العربي ،العدد 2 ،ديسمبر ،2017.
- لمغبيشي، عمر.المنجز في تاريخ الاقلية الدينية اليهودية المغربية :حصيلة وتركيب ،ضمن :مجلة المناهل ،أبريل ،ماي ،يونيو 2020 عدد :اطلالة على حصيلة الدراسات التاريخية المغربية ،العدد99 ،2020 .
- مزيان ،محمد .**طنجة فضاء تعددي** ،ضمن :تدبير المغاربة للاختلاف :استلهام لأساليب التعايش وقبول الاخرين الاخر ،منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي ،الرباط ،2016.
- موحن ،وليد .**علم الببليوغرافيا وأهميته في حقل الدراسات التاريخية**،مجلة ليكسوس التاريخية ،العدد 5 ،2016 م .

باللغات الاجنبية :

- Tableau de la population Israélite au Maroc d'après les renseignements de l'Aliinace** comparez la liste d Albert Cohen dans l Univers israélite 1860.
- **Estudio General del Bajalato de Larache** Don Tedodoro de Cuevas Boletin de Madrid ;1884 la Real Sociedad Geografica de